المبحث الثاني

المناسبات بين فواصل الآي ومضمون السور

أ – تناسب الفاصلة مع مضمون السورة:

إنّ أكثر فواصل آيات القرآن تكون بالميم والنون المسبوقة بحروف المد، وحكمته «وجود التمكين من التطريب بذلك»[1] مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقد جاءت فاصلة آخر سورة العنكبوت منتهية بحرفي: (الياء والنون)؛ ليتناسب هذا الإيقاع الصوتي مع ما تدعو إليه السورة من ثبات المؤمنين على ما دُعُوا إليه من قوة دائمة لا تنتهي، وهذا من حيث التوافق في الأداء الصوتي.

وفواصل الآي الكريم تتعلق بمضمون الآية وتناسب مع سياق نظمها، وهذا من إعجاز القرآن، قال الزركشي: «اعلم أنّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، وفواصل القرآن لا تخرج عن ذلك؛ ولكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب»[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾[3]، يقول: «يُراد به فأغناك وآواك فجرى على طرح الكاف، لمشاكلة رؤوس الآيات، ولأن المعنى معروف»[4].

---

(١) البرهان: ٦٨/١؛ والسيوطي: ٦٨٨.

(٢) البرهان: ٦٥.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٦.

(٤) معاني القرآن، الفراء: ٢٧٤/٣.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. نجد الفاصلة القرآنية في هذه الآيات تختلف تبعاً لاختلاف مضمونها وسياقها الخاص حيث ختمت الآية الأولى بـ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، لأنه في موضع الرحمة، والآية الثانية ختمت بـ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ لأنه قال: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾.

لا لحاجة بل هو غني عنها جواد بها، لأنه ليس كل غني نافعاً بغناه إلاّ إذا كان جواداً منعماً، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد. وأمّا الآية الأخيرة ختمت بـ(رؤوف رحيم)؛ لأنه لمّا عدد نعمه على الناس في الآيات ختمها بـ(رؤوف رحيم)؛ لأنّ هذا الفعل فعل رؤوف بهم رحيم لهم[2].

تتعلق فاصلة آخر السورة بمضمون السورة أو بغرضها العام كخواتم سورة (المرسلات) و(الضحى) و(العاديات) وغيرها فسورة (المرسلات) اتجهت إلى إقناع المكذبين مقطعاً بعد مقطع، معقبة على كل مقطع أو حجة بآية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ولما استكملت غرضها العام كانت الخاتمة: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾؛ أمّا سورة (الكافرون) التي اهتمت بإبراز المفارقة بين المؤمنين والكافرين، ردّاً على العرض الذي تقدموا به إلى الرسول

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٦٣-٦٥.

(٢) ينظر: المثل السائر: ٢/٢٨٥؛ والإعجاز البياني: ٢١١.

الكريم للاتفاق على عبادة الله تعالى الذي يدعو إليه الرسول فكانت الخاتمة بـ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[1].

وقد يختتم القرآن الآية بفاصلة تؤيد مضمون ما قبلها، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأمثال ذلك فتكون كالبرهان والتقرير لمضمون ما سبقها من المقاصد والأغراض بطريقة التذكير بأسماء الله الحسنى وآثارها الملائمة للسياق.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾[2] جاءت الفاصلة بحرف (الراء) قال السيوطي: فالروي في (تقهر، وتنهر) وهنا التزام الهاء قبل الراء منهما التزام بما لا يلزم[3].

وقال ابن جزي: «وفي قوله: (تقهر، وتنهر) لزم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء»[4]. وقال الحموي: «وإذا تأمّلت فواصل القرآن وجدتها كلها لم تخرج عن المناسبة كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ فلا يجوز التبديل بينهما؛ إذ لا يجوز عن انتهار اليتيم لمكان تهذيب وتأديب، وإنما ينهى عن قهره وغلبت، كما لا يجوز أن ينهر السائل إذا حرم بل يرده ردّاً جميلاً»[5].

---

(١) ينظر: الفاصلة في القرآن: ٢٩٣.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٩-١٠.

(٣) ينظر: معترك الأقران: ١/٤٠-٤١؛ والإتقان: ٣/٣٥٧.

(٤) التسهيل: ٣/٣٣٦.

(٥) خزانة الأدب: ١/٧٦؛ وتحرير التحبير: ١١٥.

ب- تناسب الفاصلة مع المعنى العام للمقطع الذي ظهرت فيه:

كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ۝١١ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾[1].

نجد إنّ الفاصلة القرآنية في هذه الآيات وخاصةً الفاصلة النونية المسبوقة بأحد حروف المد (الواو- والياء) هي المسيطرة عليها؛ فكانت فواصلها متماثلة[2] متجانسة، نحو: (يفتنون، الكاذبين، يحكمون، العالمين... يفترون)..

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١-١٣.

(٢) الفواصل المتماثلة: هي تكرار الفاصلة بنفس الحروف عند نهاية كل مقطع.

ماعدا الآية الخامسة كانت فاصلتها متقاربة[1] (بالميم) مع قبلها. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2] وكانت هذه المخالفة في هذه الآية متناسقة مع ما أخبرت عنه الآية من أمد الموت السائر على كل فرد، ومن ثم لقاء الله الذي يرجوه كل مؤمن، ويخافه كل كافر؛ فالله يسمع أقوالهم، ويعلم سرائرهم[3].

وقوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[4]. يقول الخطيب الأسكافي: «إنّ التفكير إعمال النظر، لتطلب فائدة، وهذه المخلوقات التي تنسجم من الأرض إذا فكر فيها عَلِمَ أنّ معظمها ليس إلاّ للأكل... فهذا موضع تفكر بعث الناس عليه، ليُفضي بهم إلى المطلوب منهم، وأمّا تعقيب ذكر الليل والنهار، وما سخر في الهواء من الأنوار بقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فلأن متدبر ذلك أعلى رتبة من متدبر ما تقدم، إذ كانت المنافع المحمولة فيها أخفى وأغمض... وأمّا الآية ﴿لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فلأنه لمّا نبّه في الأولين على إثبات الصانع، نبّه فيها على أنه لا شبه له مما صنع»[5].

---

(١) الفواصل المتقاربة: هي ما تشابهت فيها الحروف عند نهاية كل مقطع.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥.

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٤٥/٣؛ والرازي: ٢٨/٢٥.

(٤) سورة النحل، الآيات: ١١-١٣.

(٥) درة التنزيل وغرّة التأويل: ٢٥٨-٢٥٩.